

قائلاً: "لقد انتظرناك وقتًا طويلاً، في الواقع نحن ننتظر منذ ما يقرب من 70 سنة"².

كانت كل من الهند والصين من الدول الداعمة بقوة للقضية الفلسطينية، ولم تعترف أي منهما بإسرائيل إلا في التسعينيات مع الدخول في مفاوضات حول السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والتي انتهت بتوقيع اتفاق أوسلو 1 في 1993³. كما أن هذه المرحلة شهدت اختيار الاتحاد السوفيتي، ومن ثم فتحت الأبواب أمام إعادة التحالفات في أنحاء مختلفة في العالم، خاصة أن الانفتاح على كل من الصين والهند كان يعني بالنسبة لإسرائيل الانفتاح على ما يقرب من نصف سكان العالم. وهو التطور الذي لا يقتصر على الأبعاد والأرباح الاقتصادية فقط، ولكن أيضا له آثاره السياسية الهائلة.

ومن هنا يثور التساؤل: ما أهداف السياسة الإسرائيلية تجاه كل من الهند والصين؟ وهل هناك علاقة بينها وبين مبدأ "شد الأطراف"؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- 1- ما أهمية كل من الهند والصين تحديدا في السياسة الإسرائيلية؟
- 2- ما هي أهم ملامح هذا التطور في العلاقات؟
- 3- ما انعكاس ذلك التقارب على العرب والقضية الفلسطينية؟

² هيفاء زعتر، هل خسرت العرب الهند لصالح "العشيقية" الإسرائيلية؟. 2017. (تم الاطلاع: 2017/12/7) متاح على الرابط:

<https://goo.gl/T1bSaZ>

³ للمزيد حول اتفاق أوسلو، انظر:

Rawan Damen. The Price of Oslo. Al-Jazeera Interactive. Available at: (Accessed: 10/12/2017) <https://goo.gl/AjriHC>



السياسة الإسرائيلية تجاه الهند والصين: شد "أطراف الأطراف"

د. مروة فكري*

نواجهه، حتى الآن، جدراننا من العزلة، وسوء الفهم، والتوجس، وحتى من العداوة في هذه القارة [آسيا]. هناك هوة عقلية وتاريخية لن نستطيع عبورها بسهولة.

موشي شاريت، 15 يونيو 1953¹

في الرابع من يوليو 2017، قام رئيس الوزراء الهندي مودي بأول زيارة من نوعها لإسرائيل منذ قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في 1992. جاءت الزيارة لتشرح بوضوح كيف أن الجدران التي فصلت إسرائيل عن دول آسيا، والتي تحدث عنها وزير الخارجية الإسرائيلي أمام أعضاء الكنيست في 1953، قد تحولت إلى جسور تعبر بها إلى الدول الآسيوية الصاعدة وعلى رأسها الهند والصين. ومن هنا كانت كلمة نتانياهو-رئيس الوزراء الإسرائيلي- لرئيس وزراء الهند معبرة عن هذا التحول. فقد وجه نتانياهو كلامه لمودي

*مدرس علوم سياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

¹ Quoted in: Jacob Abadi. 2004. Israel's Quest for Recognition and Acceptance in Asia: Garrison State Diplomacy. London: Frank Cass Publishers, p. XII (Abadi 2004)

مقدمة:

بإسرائيل إلى النظر صوب آسيا كسوق وكموازن محتمل في المستقبل إذا ما ازدادت ضغوط الرأي العام الأوروبي ودفعت دوله إلى فرض أي نوع من العقوبات على إسرائيل³.

أما العامل الثالث، فكان موقف الدول العربية، وما ظهر وكأنه اتجاه لنهاية المقاطعة العربية لإسرائيل بدأتها مصر في 1977 وتعززت في 1993 عندما بدأت بعض الدول العربية تحوّل في إقامة علاقات مع الكيان الصهيوني، وتساعد تيار التطبيع مع إسرائيل، والذي تتقدمه حاليًا وبشكل كبير: السعودية⁴. ومن ثم تضاعف التخوف الذي كان موجودًا لدى القوى الآسيوية من أن تؤدي العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل إلى تبعات سلبية في العلاقة مع العرب. كما رأت إسرائيل في تطور العلاقات الآسيوية مدخلًا للدعم السياسي والدبلوماسي لها في المحافل الدولية، على اعتبار أن السياسة تتبع الاقتصاد. Kuo, Israel's Asia Strategy: Expanding (Economic) Engagement 2017. ولكن يبقى السؤال، لماذا الهند والصين تحديداً؟ للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أولاً أن نتعرف على أهداف ومصالح إسرائيل في تطور العلاقات مع كل من البلدين، وما علاقة ذلك بالصراع العربي- الإسرائيلي بشكل عام؟

أولاً: العلاقة مع الهند... السماء هي الحد

كانت الهند من الدول التي صوتت ضد دخول إسرائيل في الأمم المتحدة، واعترفت بها على مضض في 1950. وعلى الرغم من هذا الاعتراف، إلا أن التمثيل الدبلوماسي الرسمي لم يتحقق لمدة أربعين عامًا. غير أن هذا لم

لسنوات عديدة، لم تكن إسرائيل مهتمة كثيراً بآسيا، ووجهت كل تركيزها على الأسواق الأوروبية والأمريكية. ويرجع السبب في ذلك إلى أن آسيا في هذا الوقت لم تكن سوقاً واعدة بالنسبة لإسرائيل، كما لم يكن لآسيا هذا الثقل السياسي المغربي بالنسبة لتل أبيب، إضافة إلى انعدام العلاقات الدبلوماسية بينها وبين العديد من الدول الآسيوية بما شكل جدارنا من العزلة بين الطرفين.

إلا أنه سرعان ما تبدلت هذه الأجواء ابتداءً من التسعينيات واستمرت في التطور حتى هذه اللحظة، حيث ظهرت أهمية العامل الاقتصادي، فتطور الاقتصادات الإسرائيلية والآسيوية عزز من فرص دخول التكنولوجيا الإسرائيلية (بشقيها العسكري والمدني) للأسواق الآسيوية. فقد كانت إسرائيل تبحث عن أسواق خارجية لمنتجاتها، وكانت آسيا، في المقابل، تبحث عن الفرص الاقتصادية والتكنولوجية. العامل الثاني، كان التدهور النسبي في التجارة مع الاتحاد الأوروبي، وكذلك -وربما الأهم- تزايد الانتقادات السياسية والدبلوماسية من دوله لسياسات إسرائيل، ناهيك عن اتجاهات الرأي العام الأوروبي والتي تبلورت في اعتراف العديد من البرلمانات الأوروبية بدولة فلسطين في خطوة رمزية ولكن مهمة. بل إن البرلمان الأوروبي ذاته أصدر قرارًا في 2014 يعترف بدولة فلسطين "من حيث المبدأ"¹، كما أن المفوضية الأوروبية أصدرت قرارًا يقضي بوضع ملصقات تميز المنتجات الوافدة من المستوطنات الإسرائيلية². وهذا دفع

³Evelyn Gordon, . 2014. *What Israel Really Wants from Ties with China and India*. Commentary Magazine, September 3-. Accessed November 23, 2017. <https://goo.gl/JsRt1i>

⁴ تناقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية أخبار عن زيارة ولي العهد السعودي محمد بن سلمان إلى تل أبيب لبحث فكرة دفع السلام إلى الأمام في المنطقة. ولم يصدر أي تكذيب رسمي سعودي لهذه الأخبار.

¹ Christian Oliver.. *European Parliament Votes to Recognize the Palestinian State*. Financial Times, 2014December 17. Accessed December 2, 2017. <https://goo.gl/HrWUsh>

² بئينة اشتيوي .قرار الاتحاد الأوروبي "وسم" منتجات المستوطنات الإسرائيلية: الأسباب والتداعيات 2015 . نوفمبر . متاح على الرابط (تم الاطلاع: 2017/12/12) <https://goo.gl/RbdknE>

وهذا دفع بالهند إلى البحث عن تحالفات بديلة³، خاصة مع تزايد القلق الهندي من صعود الصين، وتشكل المحور الروسي-الصيني-الباكستاني. ومع تعديل جلين Glenn amendment⁴ والعقوبات الدولية التي فرضت على الهند بعد اختبارها للسلاح النووي، لم يعد من السهل حصول الهند على السلاح من الولايات المتحدة وأوروبا، ولذلك توجهت إلى إسرائيل حتى أصبحت الهند هي ثاني أكبر مشترٍ للمعدات العسكرية الإسرائيلية. من ناحية أخرى، أصبح التوجه السياسي والاستراتيجي للهند أقرب للولايات المتحدة، ومن ثم من الطبيعي أن تتحالف تدريجيًا مع المحور الأمريكي، ولم يكن من الممكن تطوير علاقات استراتيجية مع الولايات المتحدة دون التطبيع مع إسرائيل⁵.

وتجمع البلدين الآن العديد من العلاقات العسكرية، والاقتصادية والمخابراتية، وتتشاركان في العديد من المصالح المتشابهة والتي أدت، وستؤدي، إلى توسع التعاون في عدد من المجالات الحيوية مثل الزراعة والطاقة الشمسية والفضاء والأمن الذي يتضمن مكافحة الإرهاب⁶. كما ترى الهند في مشاركة تل أبيب النشطة في برنامج "صنع في الهند" (make

بمنع من تطور علاقات غير علنية، والتي تضمنت مساعدات عسكرية إسرائيلية للهند في مواجهاتها مع الصين في 1962، وكذلك في حربها ضد باكستان في 1971. ويبدو أن الهند لم ترغب في الكشف عن هذه العلاقات نظرًا لصراعها مع باكستان-الدولة الإسلامية- واعتمادها على البترول العربي، حيث خشيت من إمكانية التضامن والدعم العربي والإسلامي لباكستان. واستمر الوضع على هذا المنوال حتى عام 1992 عندما تأسست العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين نيو دلهي وتل أبيب¹، ومع ذلك لم يقم أي رئيس وزراء هندي منذ ذلك الوقت بزيارة إسرائيل ومن هنا رمزية وأهمية زيارة ناريندرا مودي في 2017².

وهناك عدة تفسيرات لمثل هذا التقارب، بعضها يرجعها للأسباب الاقتصادية، ومجموعة أخرى تركز على المحددات العسكرية والاستراتيجية، وثالثة ترى أن العوامل السياسية التي نتجت عن انتهاء الحرب الباردة لعبت الدور الأساسي، ورابعة ترجعها إلى العلاقات الشخصية بين نتانياهو ومودي، والمتأثرة بدرجة كبيرة بالخلفية الأيديولوجية المتقاربة للاثنتين. والأرجح أن مجموعة من العوامل المتداخلة والمتشابهة هي التي هيأت لمثل هذا التطور النوعي في العلاقة بين البلدين.

مع انتهاء الحرب الباردة وانحياز الاتحاد السوفيتي، فقدت الهند المورد الأساسي للسلاح وحليفًا دبلوماسيًا قويًا،

³ Sayak Roy. 2017. "What is the State of India's Relationship with Israel?". Quora, January 28. Accessed December 2, 2017.

<https://goo.gl/LfQyFc>

⁴ للمزيد من المعلومات حول هذا التعديل، انظر :

<https://goo.gl/dGH3fH>

⁵ Sreemoy Talukadr. 2017. *Israel Visit: In Reorienting India's Foreign Policy*. Firstpost, July 1. Accessed November 12, 2017.

<https://goo.gl/sTLpa8>

⁶ Sayak Roy. Op. cit.

¹ تم التطبيع بين الهند وإسرائيل على يد حكومة من حزب المؤتمر، وتطورت بسرعة خلال فترة حكم التحالف التقدمي الموحد بقيادة الحزب نفسه ما بين 2004-2014، للمزيد انظر:

Tanvi Madan. *Why India and Israel are Bringing their Relationship out from "under the carpet"*.

Brookings 2016. Accessed November 30, 2017.

² Mercy Kuo, 2017. *China, India and Israel's Strategic Calculus*. The Diplomat, August 1.

Accessed November 20, 2017.

<https://goo.gl/cwsZeR>

(in India)¹ ما من شأنه تحسين النمو الاقتصادي لها وتوفير العديد من فرص العمل².

توسعت العلاقات في ظل رئاسة ناريندرا مودي بما يسميه البعض "أثر مودي" Modi Effect، وكانت أول دلالة لتطور العلاقات هو اللقاء الذي تم بين مودي ونتنياهو على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في 2014، والتي وصف فيها نتنياهو حدود العلاقة بأنها السماء "the sky is the limit"³. وجاء المظهر الثاني ممثلاً في تغير النمط التصويتي للهند في الأمم المتحدة، حيث امتنعت الهند عن التصويت على قرارات ضد إسرائيل صادرة من مجلس حقوق الإنسان في يوليو 2015 تدين إسرائيل على جرائم حرب خلال حرب غزة 2014. وقد كان ذلك سابقة هي الأولى من نوعها، فقد اعتاد العرب على تصويت الهند تلقائياً لصالح كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية⁴، لئيفاجأوا بأنهم من الآن يجب ألا يعتبروا أن تصويت الهند لصالحهم هو أمر مسلمً به. وعلى الرغم من أن تأكيد حكومة مودي مراراً أن سياستها تجاه القضية الفلسطينية لم يطرأ عليه أي تغيير جذري، يشير الواقع إلى أن انخراط مودي مع السلطة الفلسطينية كان محدوداً⁵. كما أنه خلال زيارته التاريخية

¹ للمزيد حول هذا البرنامج، انظر:

<https://goo.gl/HhneHv>

²Sumit Kumar. *Modi's Policy Towards Israel: The Way Forward*. The Diplomat, April 10. 2016. Accessed November 20, 2017.

<https://goo.gl/g8QNTA>

³ Idem

⁴ حتى الآن امتنعت الهند عن التصويت ثلاث مرات عن قرارات لها علاقة بإسرائيل (2015, 2016, 2017) (Mitra 2017).

⁵Vinya Kura. *India's Israel Challenge*. The Diplomat, October 29. 2016. Accessed December 5, 2017.

<https://goo.gl/mQ7ujc>

لإسرائيل لم يتم زيارة مقر السلطة الفلسطينية برام الله مخالفاً بذلك تقليداً استمر طويلاً تبعه المسئولون الهنديون في زيارتهم للمنطقة⁶.

وأخيراً، جاء الموقف الهندي غامضاً وباهتاً فيما يتعلق بإعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في 6 ديسمبر 2017 عن تنفيذه للقانون الصادر من الكونجرس في 1995 بشأن اعتبار القدس عاصمة إسرائيل، واتخاذ الإجراءات لتنفيذ نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب للقدس. فقد كان تعليق الهند على القرار مقتضباً، ولم تعلن فيه صراحة عن موقفها. وجاء تعليق المتحدث باسم الخارجية الهندية كالتالي: "إن موقف الهند من فلسطين مستقل ومتسق. وهو الموقف الذي ينطلق من رؤيتنا ومصالحنا، ولا يتبع أي دولة ثالثة"⁷. وهو الغموض الدالّ بدرجة كافية على التغير الجاري في سياسة الهند تجاه قضايا العرب.

والحقيقة أن الروابط القوية لمودي مع إسرائيل يمكن تتبعها رجوعاً إلى الفترة التي كان فيها رئيس وزراء مقاطعة جوجارات (Gujarat). فقد ظهرت إسرائيل كلاعب أساسي في مساعدة المقاطعة في تحقيق نمو اقتصادي مذهل في ظل قيادة مودي⁸ ومن المعروف أن الحركة والحزب اللذين ينتمي إليهما مودي (بهارتيا جاناتا BJP) يسعيان إلى جعل الهند أمة هندوسية، بمعنى ارتباط المواطنة بالهوية الدينية في تشابه مع إصرار إسرائيل على الاعتراف بما كدولة يهودية. وكثيراً ما عبّر مؤسسو هذا التيار السياسي الهندي عن إعجابهم بعسكرة وطريقة تفكير الصهيونية، داعين إلى محاكاتها

⁶ Sayak Roy. Op.cit

⁷ Zeenat Saberlin. *India's Deafening Silence after Trump's Jerusalem Shift*. December 12. 2017. Accessed December 12, 2017.

<https://goo.gl/WHNmnd>

⁸ Vinya Kura. Op. cit

لإسرائيل المكان للقيام بتجارها النووية سواء بحرياً (في المحيط الهندي) أو برياً (في صحراء راجستان)⁶.

من الناحية الاستراتيجية، تحتل الهند موقعاً متميزاً واستراتيجياً في القارة الآسيوية، وبالتالي تعتبر طريقاً لعبور إسرائيل لأقطار الشرق في ظل عدم قدرتها على استخدام الطرق البرية الخاضعة لجيرانها العرب. كما أن التعاون مع الأسطول الهندي يعني تواجداً بحرياً إسرائيلياً في المحيط الهندي، الأمر الذي يمثل تهديداً مباشراً لدول الخليج العربي والعراق، وكذلك للدول الإسلامية في جنوب غرب آسيا، تحديداً: إيران وباكستان⁷. كذلك فإن إسرائيل ترى في الهند منفذاً لدول آسيا الوسطى الغنية بمصادر الطاقة⁸، مما يسهل تطويق العالم العربي، والتأكد من عدم وصول الأسلحة النووية (خاصة في كازاخستان) إلى الدول العربية، واستغلال مواردها الطبيعية⁹. وهي تتنافس في ذلك مع العديد من القوى الأخرى على رأسها إيران وتركيا وباكستان وروسيا.

⁶ في هذا الصدد يقال أن تجربتين من الخمس التي أجرتها الهند في 1998 كانتا في الحقيقة لحساب إسرائيل وهو ما قد يفسر مساعدة إسرائيل للهند في الالتفاف على العقوبات المفروضة من الولايات المتحدة والدول الأوروبية، للمزيد انظر: أمين شعبان عبد النبي، مرجع سبق ذكره. من ناحيتها، استشعرت الهند القلق من إمداد إسرائيل الصين بالأسلحة والمعدات العسكرية، نظراً للصراع بينهما على بعض الأقاليم من جهة، ومن جهة أخرى لتأكد الهند من أن هذه الأسلحة والتكنولوجيا لن تستغرق كثيراً حتى تصل إلى باكستان، نظراً للعلاقة الاستراتيجية بين بكين وإسلام آباد. وبالتالي للحفاظ على تفوقها العسكري في جنوب آسيا، كان من الضروري للهند الحصول على الأسلحة والتكنولوجيا المعقدة من إسرائيل، للمزيد انظر: Sumit Kumar.Op. cit.

⁷ أمين شعبان عبد النبي، مرجع سبق ذكره.
⁸ كذلك هناك الرغبة في كسب هذه الدول إلى صف إسرائيل في المحافل الدولية، والتحكم في تفاعلاتها الإقليمية، والسماح للأقليات اليهودية بالهجرة إلى إسرائيل. للمزيد انظر :

Robert Freedman. 1993. "Israel and Central Asia: A Preliminary Analysis." *Israel Studies Bulletin*, 6-9.

⁹ Idem

في الهند. ومن ثم فإن الهند في عهد مودي لا تستورد فقط الأسلحة من إسرائيل، ولكن أيضاً عقلية سياسية معينة¹.

وقد رأت إسرائيل في تطوير شراكة استراتيجية مع الهند استفادة من عدة أبعاد. اقتصادياً، من شأن هذه العلاقة دعم صادرات السلاح الإسرائيلية في الخارج، كما أنها تفتح السوق الهندي أمام التجارة الإسرائيلية وهي سوق قوامها أكبر من مليار نسمة². عسكرياً، هدفت إسرائيل من علاقتها بالهند إلى مواجهة خطر باكستان خاصة فيما يتعلق بالقنبلة النووية، من خلال إلهاء إسلام آباد بصراعها مع الهند حتى لا توجه دعمها ومساعدتها إلى الدول العربية³، وتحجيمها كعنصر كعنصر تهديد لإسرائيل من ناحية، ومن ناحية أخرى لوقف أي احتمال لتطوير القدرات النووية لباكستان كعنصر تهديد لإسرائيل. بل إن هذه الشراكة من شأنها أيضاً تحييد القوة الإيرانية بإشغالها بالخطر القادم من الهند⁴. كما رأت إسرائيل أن تطوير علاقتها بالهند من شأنه قطع الطريق أمام أي تعاون عسكري هندي مع الدول العربية⁵، في المقابل فإن الهند توفر

¹Rob Jenkins. 2017. *India's Costly Embrace of Israel*. The Diplomat, July 3. Accessed December 10, 2017.

<https://goo.gl/jmZNFL>

² أمين شعبان عبد النبي، إسرائيل والهند: توسيع نطاق "الأمن القومي الإسرائيلي". "مجلة الدراسات الفلسطينية". 60-85، 2009 ص 65

³ Evelyn Gordon, Op.cit

⁴ مدحت أيوب.. مستقبل التحالف الهندي الإسرائيلي. أكتوبر. 2004 (تم الاطلاع: 2017/12/4) متاح على الرابط:

<https://goo.gl/mVWtGW>

⁵ كذلك يخدم هذا التقارب هدفاً آخر، وهو قطع الطريق على أي محاولة لإقامة تحالف ثلاثي بين الهند وروسيا والصين. وكان رئيس الوزراء الروسي الأسبق - يفغيني بريماكوف - قد دعا إلى هذا التحالف، للمزيد انظر: أمين شعبان عبد النبي، مرجع سبق ذكره، ص. 67.

الأقوى لتوفير ذلك⁵. وكان للاضطرابات السياسية والأمنية في العالم العربي، دورٌ في تسهيل توسيع الهند روابطها مع إسرائيل دون إثارة الكثير من الانتقادات من الدول العربية⁶، ناهيك بالطبع عن حالة الصراع والتناحر بين الدول العربية بعضها البعض.

ثانيًا- الصين: حزام واحد... طريق واحد

لم تكن هناك علاقات دبلوماسية إسرائيلية-صينية رسمية حتى التسعينيات، بل يمكن القول إن العداء كان هو السمة الغالبة على هذه العلاقات حتى أواخر السبعينيات. فقد كانت إسرائيل طوال سنوات الحرب الباردة جزءًا من شبكة الدفاع الغربي في مواجهة الشيوعية؛ وهو ما جعلها تعترف بحكومة تايوان على أنها الحكومة الشرعية للصين، فضلاً عن أن الصين كانت تميل تقليدياً إلى تأييد العرب سياسياً وعسكرياً خلال هذه السنوات (في تشابه مع موقف الهند)⁷.

مع حدوث الشقاق الصيني-السوفيتي في أواخر السبعينيات، بدأت إسرائيل في امداد الصين بالسلاح بمعرفة الولايات المتحدة، وربما بتشجيع منها أيضاً، بغرض تقوية الصين أمام الاتحاد السوفيتي، والذي كان سبق له وحذر واشنطن من تسليح بكين⁸. وبناء على هذا، طورت إسرائيل روابط عسكرية قوية مع الصين وساعدت إسرائيل بكين على تفادي العقوبات الأمريكية والأوروبية التي فرضت عليها بعد أحداث ميدان تيانانمن في 1989. ويرى الكثير من المحللين أن مبيعات السلاح تلك قد خففت من المعارضة الصينية

⁵ هيفاء زعتر، مرجع سبق ذكره.

⁶ Sumit Kumar. Op. cit.

⁷ John Cooley. 1972. "China and the Palestinians." *Journal of Palestine Studies*, 19-34.

⁸ Mercy Kuo, Op.cit.

سياً، كان التطلع للهند وهدف التطبيع معها ينطلق من كونها واحدة من الدول المؤثرة في دول الجنوب مما يضمن تفكيك تضامن دول الجنوب مع الفلسطينيين¹، وإنهاء وإنهاء العزلة الدبلوماسية بالنسبة لإسرائيل. كما أن هذه الشراكة من شأنها تفكيك هوية المنطقة بإخراجها من إطارها العربي الإسلامي من خلال مدّ حدودها إلى الحدّ الفاصل بين دول آسيا الوسطى وروسيا بدلاً من الحدود الشمالية لإيران². إيران². كما تعمل إسرائيل على أن تكون محوراً لتشكيل تحالف لمحاربة "الإرهاب"؛ وهو الأمر الذي يعيد إلى الأذهان دورها القديم الخاص بمنع تغلغل الشيوعية. ولكن يختلف الهدف ليصبح مواجهة التغلغل الإسلامي "المتطرف" ومنع تناميهِ في آسيا، وذلك من خلال التركيز بالأساس على إيران، وحماس وحزب الله. وكان هذا مدخلاً أساسياً في تطور العلاقات بين الهند وإسرائيل³، من خلال تبادل المعلومات الاستخباراتية عن الجماعات الإرهابية وتمويلها ونماذج التدريب والتجنيد المتبعة⁴. وقد أسهم صعود التيارات الإسلامية في ظل ظل الربيع العربي والحرب في سوريا، وأخيراً ظهور داعش، إلى إثارة مخاوف الهند من حدوث تغييرات في المنطقة وخصوصاً في دول الخليج، الأمر الذي دفعها إلى إعادة التفكير في تحالفاتها التي تضمن لها مصالحها، فكانت إسرائيل المرشح

¹ Sreemoy Talukadr. Op.cit.

² أمين شعبان عبد النبي، مرجع سبق ذكره.

³ ينبغي الإشارة هنا إلى أن "الإرهاب الإسلامي" الذي تحشى منه الهند هو إرهاب القاعدة "السننية وليست الجماعات الشيعية المدعومة من إيران كما هو الحال في حالة إسرائيل. فقد كانت الهند عميل أساسي في شراء البترول من إيران وأي رفع للعقوبات عن إيران من قبل المجتمع الدولي سيفتح المجال أمام توسع التجارة بين البلدين. نفس الوضع ينطبق على العلاقة مع الصين، فبينما ترى الهند الصين منافس قوى وغير متوقع في سياساته، فإن إسرائيل تراها شريك تجاري واعد، للمزيد انظر:

Tanvi Madan. Op. cit.

⁴ Idem

لإسرائيل وأدت إلى خفض نبرة الخطاب المعادي، وفي النهاية أدت إلى تطبيع العلاقات في 1992¹.

وقد كان قرار إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين بمبادرة من الصين انطلاقاً من القدرة على الفصل بين السياسة والاقتصاد. وهذا يعني إمكانية الاستمرار في دعم العرب والفلسطينيين من ناحية، ومن ناحية أخرى التمتع بعلاقات تكنولوجية واقتصادية متميزة مع إسرائيل².

إلا أن تطور العلاقات هذه لم يعتمد على الأطراف العربية فقط، ولكن الأهم كان دخول الولايات المتحدة في المعادلة. فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بدأت الصين تظهر في صورة المنافس القادم لواشنطن، وتلاشى دورها كموازن لموسكو. وبدأت الولايات المتحدة تنظر إلى بكين كمصدر تهديد لمصالحها في منطقة آسيا-الباسيفيك³. ومن هنا كان مطلوباً من إسرائيل التوقف عن إمداد الصين بالسلح والتكنولوجيا العسكرية، وقد صرحت واشنطن في العديد من المناسبات عن تحفظاتها على الإمدادات الإسرائيلية هذه⁴. وهو الأمر الذي يثير التساؤل حول دوافع استمرار إسرائيل في تطوير علاقاتها ببكين على الرغم من عدم ارتياح واشنطن لذلك:

أولاً- تدرك إسرائيل جيداً قوة الصين الصاعدة في النظام الدولي -إضافة إلى ثقلها كقوة نووية- ومن ثم أهمية

تطوير علاقات قوية معها بحيث تصبح أكثر اقتراباً من التوجهات الإسرائيلية، لا سيما في لحظات الأزمات نظراً لتمتع الصين بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن⁵.

ثانياً- السوق الصينية هي الأكبر في العالم -كوتها الأكبر في عدد السكان- ومن ثم تنطوي على فرص اقتصادية هائلة سواء لرؤوس الأموال والاستثمارات أو المنتجات الإسرائيلية⁶.

ثالثاً- قد يكون أيضاً واحداً من أهداف إسرائيل: التحجيم من المبيعات العسكرية الصينية لبعض الدول العربية⁷؛ خشية من أن يصل بعضها -خاصة الصواريخ- إلى حزب الله اللبناني وما يمثله ذلك من تهديد للأمن القومي الإسرائيلي⁸.

رابعاً- تعمل إسرائيل على انضمام الصين إلى محورها ضد "الإرهاب" مستغلة في ذلك قلق بكين من حقيقة وجود ما يقرب من مائة من الإيغور الذين يحاربون مع تنظيم الدولة الإسلامية، والذين قد يكتسبون بعض المهارات لاستخدامها في الصين عندما يعودون؛ وبالتالي هناك فرصة لتعاون أمني بين البلدين⁹. ويلاحظ في هذا الصدد كيف أن الرأي العام

⁵ وليد عبد الحفي. العلاقات الصينية-الإسرائيلية: الأسواق والسلاح. أكتوبر . 2011. (تم الاطلاع: 2017/12/4) متاح على الرابط:

<https://goo.gl/BsPkvQ>

⁶ أحمد قنديل. تطلعات الشراكة: مسار تطور العلاقات الإسرائيلية-الصينية . متاح على الرابط: 2017.. 14 (تم الاطلاع: 2017/12/5).

<https://goo.gl/MXSRTR>

⁷ هناك بعض المؤشرات على أن بكين أيضاً بدأت تتعامل مع التهديد الهندي بجدية، وهو ما يعني أنها قد تصبح أكثر حساسية فيما يتعلق بالعلاقات الإسرائيلية الهندية ومحاولة الضغط على إسرائيل لوقف أو تقييد مبيعات الأسلحة للهند، للمزيد انظر:

Mercy Kuo, Op.cit.

⁸ أحمد قنديل، مرجع سبق ذكره.

⁹ David Goldman. *China's Emergence as a Middle Eastern Power and Israel's Opportunity*.

¹P.R. Kumaraswamy. 2006. "At What Cost Israel-China Ties?" *Middle East Quarterly*, 37-44.

² Mercy Kuo, Op.cit.

³ P.R. Kumaraswamy .Op.cit.

⁴ في أكتوبر 1999، اعترض الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون رسمياً على صفقة أجهزة الإنذار المبكر من طراز فالكون المحمول جواً على أساس أن التكنولوجيا التي أردت إسرائيل بيعها للصين تقوض من المصالح الأمنية الأمريكية في آسيا-الباسيفيك، خاصة عبر مضيق تايوان، مما أضطر رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك-يهود باراك-أن يلغي الصفقة، للمزيد انظر:

Vinya Kura. Op. cit

الصيني بدأ يربط الاضطرابات بين الحكومة الصينية ومسلمي الصين في إقليم سينكيانج غرب الصين من جهة، بحركة حماس الفلسطينية من جهة أخرى¹.

خامساً- ترى إسرائيل أن الصين بصدد إعادة تقييم كاملة لاقتراحها من المنطقة بعد أن كانت تفر -ضمنياً- الريادة الأمريكية في أمن الخليج. إلا أنه مع تدهور الأوضاع في كل من سوريا والعراق، وظهور تنظيم الدولة وتزايد مخاطر الحرب الإقليمية التي قد يترتب عليها انقطاع إمدادات البترول للصين، وما يبدو عليه الوضع من تراجع أمريكي في المنطقة، بدأت الصين في التفكير في طرق تعزيز وجودها الأمني الإقليمي دون محاولة لعب دور قوة كبرى في المنطقة². وهو ما وجدته إسرائيل فرصة للتأثير على التفكير الصيني لتكون بمثابة بوابة نفوذ بكين في المنطقة³.

ويتزايد هذا الاحتمال في ظل إعلان الصين عن مشروعها الطموح لإحياء طريق الحرير تحت اسم "حزام واحد، طريق واحد". وهو المشروع الذي يهدف إلى إقامة حزام من السكة الحديد والطرق السريعة والأنابيب وخطوط الاتصالات التي تمتد من الصين في الشرق إلى البحر المتوسط، إضافة إلى طريق حرير بحري يضم طرقاً بحرية وموانئ تمتد من المحيط الهندي إلى البحر المتوسط. وترى الصين أن موقع إسرائيل الاستراتيجي، إضافة إلى قدراتها التكنولوجية وبنيتها التحتية

The Begin-Sadat Center for Strategic Studies,
February 1, 2015. Accessed November 20, 2017.
<https://goo.gl/i5QBXJ>

¹ أحمد قنديل، مرجع سبق ذكره.

² David Goldman, Op. cit.

³ من أهم مؤشرات التقارب بين البلدين مؤخراً، أنه في 28 أبريل 2016 قامت شركة "هاينان إير لاين" الصينية بتسيير أولى رحلاتها الجوية من بكين إلى تل أبيب مباشرة، معلنة عن تسيير خط منتظم لهذه الرحلة ثلاث مرات في الأسبوع. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها شركة صينية بذلك منذ احتلال فلسطين في 1948، حيث دأبت الرحلات بين العاصمتين على المرور عبر بانكوك في تايلاند، للمزيد انظر: أحمد قنديل، مرجع سبق ذكره.

العلمية، كل ذلك يؤهلها لتكون شريكاً اقتصادياً قوياً، وأن تكون بمثابة الجسر في مشروع السكة الحديد "Red-Med"، وهو المشروع الذي يُقدم كوسيلة لاستيعاب التكسب في قناة السويس أو -في الواقع- كطريق بديل خاصة في حالة الاضطرابات السياسية. وهو ما يؤهل الدور الإسرائيلي في المشروع ليكون على نفس القدر من الأهمية للدور التركي وربما أكثر⁴.

هذا الاقتراب الاقتصادي من المنطقة والمصالح الصينية المرتبطة بالعرب من ناحية، وإسرائيل من ناحية أخرى، يفسر إلى حدٍ كبير موقف الصين فيما يتعلق بموضوع القدس. فقد كان واضحاً قلق بكين من إعلان ترامب وجاء على لسان وزير خارجيتها أن "مسألة وضع القدس معقدة وحساسة. يجب على كل الأطراف أن تكون حذرة للحفاظ على السلام. وعلى كل الأطراف الابتعاد عن خلخلة الثوابت طويلة المدى لحل القضايا الفلسطينية، وتجنب توليد انقسامات جديدة في الإقليم"⁵.

وتوضح قراءة ما بين السطور أن الصين لا تريد اضطرابات في المنطقة؛ ولذلك تقف ضد أي خطوة من شأنها التسبب في ذلك، لتأثيراتها المحتملة على الاستثمارات الصينية وعرقلة المشروع الطموح الخاص بطريق الحرير. وهذا يرجع إلى العلاقات الاقتصادية التي تربط الصين بكل من إسرائيل والدول العربية، وكذلك إيران ورغبتها في الاحتفاظ بما على هذا المنوال. ولذلك هي لم تعترض على القرار من حيث المبدأ أو اعترافاً منها بالحقوق الفلسطينية في المدينة، ولكن لما قد يترتب عليه من صراعات وعدم استقرار في المنطقة. وهو

⁴ David Goldman, Op. cit.

⁵ Quoted in: liu Zhen. *Why is China so Worried about Trump Recognising Jerusalem as Israel's Capital?* South China Morning, December 7 2017. Accessed December 8, 2017.

<https://goo.gl/1pbqyt>

الموقف الذي يشير مرة أخرى إلى خسارة العرب للدعم المطلق الذي اعتادوا عليه في السابق.

خاتمة

من الصعوبة بمكان فهم علاقات التعاون بين إسرائيل والدول الصاعدة في آسيا كإندونيسيا والصين دون الرجوع لمبدأ "شد الأطراف" الذي أرساه بن جوريون - أول رئيس وزراء لإسرائيل - في الخمسينيات. ويقضي هذا المبدأ بضرورة إقامة تحالفات مع الدول غير العربية على أطراف العالم العربي والتي ليس بينها وبين إسرائيل صراع مباشر، وهي: إيران، وتركيا، وأثيوبيا. وكانت هذه الدول في ذلك الوقت ذات علاقات قوية مع الولايات المتحدة وتُدور لحدّ كبير في فلكها. فقد كانت تركيا عضوًا في حلف الناتو، واحتفظ كل من شاه إيران وامبراطور أثيوبيا هيلاسلاسي بروابط صداقة قوية مع واشنطن. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان لكل دولة من هذه الدول صراعاتها الطويلة القائمة مع أطراف عربية: تركيا مع سوريا، إيران مع العراق، وأثيوبيا مع السودان. وهي كلها عوامل ساعدت في تقوية الشراكة الإسرائيلية مع هذه الدول في محاولة لإحداث توازن قوي في مقابل القومية العربية¹.

ولكن بالنظر إلى مثل هذه العلاقات الآن، نجد أنه باستثناء أثيوبيا، فإن العلاقات الإسرائيلية مع كل من إيران وتركيا غير جيدة، أو غير جيدة على الإطلاق. فقد انحازت علاقات تل أبيب مع طهران بسقوط النظام القديم تحت أثر الثورة الإسلامية 1978. كما أن العلاقات التركية-الإسرائيلية بدأت تأخذ منحى مختلفًا، ولكن تدريجيًا، منذ وصول حزب التنمية والعدالة إلى الحكم في 2002. ثم حدث الانهيار الحاد في أعقاب حرب إسرائيل على غزة في

2008 نتيجة لمهاجمة إسرائيل سفينة مرمرة القادمة من تركيا لنقل مساعدات وأيضًا للتضامن مع أهالي غزة، ونتج عن هذا الهجوم مقتل ثمانية أتراك².

هذه التطورات كلها كانت تشير بقوة إلى أن مبدأ "شد الأطراف" الذي أرساه بن جوريون انهار. بل إنه في ظل حالة الضعف العربي والهزلة نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني - حتى ولو على حساب الحقوق الفلسطينية - أصبح الخطر الأكثر على إسرائيل هو "الأطراف"، وليست دول المواجهة التقليدية في القلب من الصراع. ومن هنا يمكننا فهم أسباب طرق إسرائيل أبواب آسيا بشكل عام، وإندونيسيا بشكل خاص. حيث تمثل الهند، نظرًا لموقعها الجغرافي، بوابة إسرائيل الجنوبية إلى دول جنوب شرق آسيا التي كانت - حتى وقت قريب - أشبه بالقارة المغلقة أمامها لوجود دول وجماعات إسلامية كبيرة³. وهذا يسهل عليها احتواء كل من باكستان وإيران معًا فيما يمكن أن نسميه "شد أطراف الأطراف". إضافة بالطبع إلى حصولها على أصوات جديدة في المحافل الدولية اعتادت أن تكون في الصف العربي، وما يمثله هذا من هزيمة سياسية ونفسية أيضًا للعرب وللقضية الفلسطينية.

فيما يتعلق بالصين، تبدو العلاقة بين الطرفين تجارية اقتصادية أكثر منها استراتيجية. فإذا ما استطاعت إسرائيل أن تزيد من التجارة الآسيوية بدرجة تجعلها كافية لتخفيض اعتمادها الاقتصادي على أوروبا، فهذا سيجعلها في موقع أفضل لتحمل الضغوط الأوروبية⁴. إضافة إلى أن مشروع طريق الحرير، قد يزيد من أهمية الدور الإسرائيلي في مقابل الدور التركي، وهذا من شأنه الانعكاس على النفوذ السياسي

² Umut Uzer, N.d. "Turkish-Israeli Relations: Their Rise and Fall." *Middle East Policy Council*. Accessed December 10, 2017.

<https://goo.gl/fGXb3S>

³ مدحت أيوب، مرجع سبق ذكره.

⁴ Evelyn Gordon, Op.cit

¹ Leon Hadar, "The Collapse of Israel's 'Periphery Doctrine'." *Foreign Policy*, June 26, 2010. Accessed December 8, 2017.

<https://goo.gl/upW9mF>

وبعض. وكلها تطورات أتاحت مساحة مناورة أكثر للدول التي اعتادت مناصرة القضايا العربية مثل الهند والصين، ففي نهاية الأمر، لن تكون هذه الدول ملكية أكثر من الملوك أنفسهم. ويدل ذلك أيضا على أن إسرائيل أصبحت "المحور" تجاه إعادة ترتيب التحالفات والمحاور في الإقليم معتمدة في ذلك على اتصالاتها واستخباراتها وتقديمها التكنولوجي والاقتصادي. وهي كلها تطورات تشير إلى أن المنطقة مقبلة على المزيد من التغيرات التي لن تعيد رسم تحالفاتها فقط، ولكنها ستعيد تشكيل هويتها أيضا.

في المنطقة ككل. إضافة إلى ذلك، فإن تشابك العلاقات مع بكين يعني اكتساب تل أبيب أصدقاء جددًا، ويخضم من رصيد دعم الحقوق الفلسطينية.

ويمكننا القول -بشكل عام- إن العلاقات بين الصين وإسرائيل لا تبدو واعدة بالمقارنة مع الشراكة مع الهند. فمن ناحية، تقف الولايات المتحدة عائقًا أساسيًا -إن لم يكن الأساسي- في توسع العلاقات الإسرائيلية-الصينية¹. من ناحية أخرى، فإن تطور العلاقات الهندية-الإسرائيلية إلى ما يقرب من الشراكة الاستراتيجية، يمثل تحديًا آخر أمام علاقات بكين بتل أبيب نظرًا للصراع والتنافس بين بكين ونيو دلهي. ويرى البعض أن تزايد التحالف الإسرائيلي-الهندي-الأمريكي قد يكون عاملاً أساسيًا في الحد من صعود روسيا والصين في المستقبل². وتشير هذه المحددات بدرجة متزايدة إلى أن الصين -حتى الآن- تعد شريكًا تجاريًا أكثر منه استراتيجيًا. ويعزز من هذا اتجاه الصين -إلى الآن- إلى الفصل بين السياسي والاقتصادي وعدم السماح بالتحالفات السياسية أن تتدخل في المصالح الاقتصادية. ولكن إلى متى، هذا هو السؤال؟

العامل الآخر في فهم تطور العلاقات الإسرائيلية-الآسيوية، هو تقاعس النظام العربي والدول المحورية فيه عن القيام بمهمتها في حصار ومقاطعة إسرائيل دوليًا. ولعل الحديث الدائر الآن عن "صفقة القرن"³ برعاية الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وبمباركة كل من السعودية ومصر بالأساس، يعد مثالًا صارخًا على فقدان النظام العربي البوصلة والرؤية والتوجه، وتحول الاهتمام بعيدًا عن النزاع العربي-الإسرائيلي لصالح التصارع بين اللاعبين الإقليميين بعضهم

¹ Mercy Kuo, Op.cit.

² Evelyn Gordon, Op.cit

³ للمزيد حول هذا الموضوع: نُجْد إبراهيم المدهون. 2017. "صفقة القرن".

الجزيرة.نت. (تم الاطلاع: 2017/12/12):

<https://goo.gl/6h6ovt>